رقصة الخنجر
ورقصة الحياة

أعطى حنا مينه في روايته الجديدة « الشمس في يوم غائم » لعلاقة الموت ـــ الحياة ، امكانية انفجار تعبيري هائلة . فالغنى حين يمتزج بالحقد الطبقي ينغرس في مسيرة المستقبل ، ويمتد في قدرة على احتضان القدس وهو يعانق الفضاء. الخياط. الفتى . العاهرة . طرف يقف وسط لعبة الصراع الداخلي ، في مسيرة اكتشاف الذات واعادة غرسها في المستوى المتحرك من علاقة الانسان بالانسان . الاب ، الام والصهر . طرف آخر يقف وسط جمود الماضي ، ليمنع الحياة من ان تسير في خط المستقبل . يريد اضاءة جانب واحد من لعبة الموت حتى يبقى الجانب الاخر معتما وفي الخارج . في هذا الاطار ، ندخل مع حنا مينه في روايته الجديدة ، دخولا جديدا . والكاتب حين يعطينا خيط استمرار خط روايته السابقة « الثلج يأتي من النافذة » ، فان هذا الخيط لا يستمر الا في حركة الاتجاه . اما الايقاع ، فانه هنا اكثر غنى وأكثر قدرة على التتابع . مينه يتابع رحلته عبر المطهر الجماهيري ، حيث تستطيع النار ان تصهر العضل الانساني ، وان تعيد صياغة المستقبل . والمطهر هو مكان تتجمع فيه لحظة انشداد القبضة نحو الهدف . لحظة الموت والانفجار هي نقطة التقاء البطل ـــ المثقف ، بالمطهر ـــ الجماهير . في هذه النقطة ينتصر المطهر ، لانه ناري، ويستسلم البطل ، لان الصراع الطبقي هـو الذي يفرض منطقه في لحظة اللقاء .

يلتقط حنا مينه من الواقع أربع ظاهرات :

١ ـــ **الرقص ـــ الفن** . فالرقص الغجري هو لقاء مع الارض ، لقاء عنيف ومدمر . فحين ترقص فانت تدق الارض بقدمك لتوقظها . علاقة الرقص بالارض هي نتيجة علاقة الرقص بالاسطورة . فالراقص يرى وجه الحبيبة الاسطورية . فيرقص من أجلها . ويموت من أجلها . وبكسر رتابة الارض من اجلها . الرقص بهذا المعنى لا شكل له . الثابت الوحيد هو الخنجر . اما ايقاع القدمين فهو متغير دائم ، لان الذي يحدده هو درجة الاقتراب او الابتعاد من ابتسامة الاسطورة . « وأنا ، لا احب النوتات المكتوبة لادخال السرور والهدوء والراحة الى قلوب مستمعيها . رقصة الخنجر لا نوتة لها ، مثل ريح العاصفة . وانا احب هذه الريح . واكره الهواء المكيف ، هـواء المراوح » . الرقص ـــ الفن ، لا يأخذ معنـاه الحقيقي ـــ الثوري ، الا من خلال علاقتين :

أ ـــ العلاقة بالخياط ، الخياط بوصفه الطرف الآخر من المدينة ، الطرف المرفوض ، والذي تلفه العتمة ، العلاقة الحميمة معـه تعطي للرقص معناه ، وتعطي للخنجر الذي يجرح ساق الراقص أولا مهمته . فالخنجر عندما دخل ساق الفتى ، كان يستعد لتمزيق وجه الفضاء . فالعلاقة بالخياط ـــ معلم الرقص ـــ الجماهير ، هي التي تجعل من الفن ـــ التمدد امتدادا لاكتشاف مذاق الحياة .

ب ـــ العلاقة بالاسطورة . العلاقـة بدخول المطهر الحقيقي « رقصت ، تفجرت رقصا ، ومن جديد أحسست بأنني أحمل الى بعيد ، وكمركبة ايليا تصاعدت الى الاعالي ، هادرا كالرعد . وفي ضياء الشمس ذهبت ، وهناك رأيت التي رآها الفتى في الاسطورة » . الدخـول لا يتم الا من ثنايا الطبيعة ـــ التمدد . فبعد ان توقظ الارض ـــ الثبات بقدميك ، تدخل الطبيعة كما دخل النبي ايليا السماء . وفي عربة النار ، يصبح الفـن علاقتك بالآخرين .

٢ ـــ **الصراع الطبقي** . هنا تتمحور الرواية . فالمفصل المركزي في علاقات الرواية هو هـذا الصراع . ومينه في روايته الجديدة ، يذهب الى أبعد في تحليله الصراع الطبقي . الطبقات هنا لا لقاء بينها . الانقطاع يواجه الفلاحين ، يتمعهم ، يقتلهم . والاب يقتل محاولة خروج الفتى من طبقته حين يقتل الخياط . والحبيبة لا تستطيع ان تخرج من ذاتها الطبقية . لانها لم تدخل تجربة النار . الصراع الطبقي هو المحرك . لكنه في الروايـة صراع منقطع . صراع **ثقافي ـــ مبدئي** وليس صراعا متداخلا حيا . تجربة خروج الفتى من طبقته ، لا تتوازى معها تجربـة الصدام اليومي . تجربة الحرائق الدائمة الاشتعال التي تبرر هذا الخروج وتجعله أكثر من مجرد خروج فني . من هنا ورغم المجهود الذي تحاوله الرواية ، فانها استمرار لخط سابق حاوله حنا مينه . الطبقات تتواجد ولا تتداخل . من هنا يصبح الفـن ليس فقط تعبيرا